الفصل الثامن
"العزيمة"

في المشفى:

كان يقف هشام خارج إحدى غرف الفحص يرافقه أحد العساكر، يدَّعي الثبات، لكنه في حقيقة الأمر كان عالقًا بين أمور شتّى وأحاسيس غريبة راحت تداهمه بين الفينة والأخرى.

خرج الطبيب؛ فتوجّه نحوه هشام بوجه خال من التعابير:

- ها يا دكتور، إيه حالتها؟

الطبيب:

- انهيار عصبي وضغط عالي مع خلل في ضربات القلب، أنا ادِّيتها أدوية مهدئة وعلّقتِلْها محلول، على بكرة الصبح إن شاء الله تكون بقت كويسة.

هشام: تمام، العسكري ده هيفضل حراسة هنا لبكرة الصبح.

أوما الطبيب متفهمًا الإجراءات ثم غادر، حينذاك دلف هشام الغرفة بقدمين متثاقلَتَين، توقف أمام فراشها، كانت نائمة بلا وعي وقد حُلَّ عنها حجابها، حين وقعت نظرته الأولى عليها أخذت به إلى ملكوت آخر وكأنه بإحدى الجِنَان، تستلقي أمامه حوريّة فاتنة الجمال، لوحة فنيّة مكتملة رغم غيمة الأسى التي تكسو وجهها النورانيّ، شعرَ بهزيز يختلِجُ قلبه حتى بات

يسمع دقات قلبه بوضوح وكأن العالم من حوله بات سَرَابًا، وسرعان ما أنهى تلك النظرة المطوّلة وأشاح بوجهه بعيدًا، وقد أدرك أنه لو كانت بوعْيِها لما أرادت أن يراها بتلك الهيئة، صحيح أنه لم يأبَه يومًا لموضوع الحجاب؛ فأخته ارتدته والتزمت به ولم يتدخّل بشأنها، أما عن خطيبته فلم تقتنع يومًا بارتدائه، وهو بدوره لم يكن ينوي التدخل بهذا الأمر، لكنه في تلك اللحظة شعر بضرورة المغادرة، ومع ذلك لم يستطع منعَ نفسه من استراق نظرة أخرى عليها قبل أن يغادر.

عاد هشام إلى منزله مثقل الرأس، تعجّ بها الأفكار المتلاطمة، وما إن فتح باب الشقة حتى سمع أصواتَ جلبةٍ تصدر من الداخل، تذكّرَ حديث منيرة عن عزيمة أختها وابنتها، ومالبث أن يغلق الباب حتى أتاه عمر يهتف ببراءة:

- خالو جه.. خالو جه.

ثم تابع بلماضة:

- اتأخرت كده ليه يا هشام، مِتْ لاقي حد ألعب معاه، ولالَا دي لِخْمَة قوي، عمالة تِشِدّني من خدودي.

حمله هشام ضاحكًا:

- يخرب بيت لماضتك، بس تصدّق عندك حق، انتَ عيّل وماستحملتهاش، أنا أعمل إيه.

رد الطفل لا شعوريًا:

- الْعَب باليه.

هشام بحاجبين مرتفعين:

- ألعب باليه! امم..

ومن ثم تركه من بين يديه ليسقط على الأريكة؛ فصرخ عمر متضاحكًا، بينما اتجه هشام إلى المطبخ حيث كانت منيرة وحنين وفوزية ولارا؛ فألقى عليهن التحية: السلام عليكم.

رد الجميع التحية، وبادرت فوزية: ازيك يا حبيبي؟

هشام بابتسامة جافة: الحمد لله يا طنط، منوّرة.

فوزية:

- ده نورك، وبعدين إيه طنط دي بقى؟ انتَ هتبقى جوز بنتي، يعني أنا زي والدتك تقولّي يا ماما.

تجهم وجه هشام؛ فلكزتها منيرة تحدّجها بتحذير؛ فتمتمت فوزية باضطراب:

- أو.. اللي انتَ عايزُه يعني.. كل اللي يطلع منك حلو.

فرد هشام بابتسامة مصطنعة:

- بعد إذنكوا هدخل أغيّر هدومي.

لارا بعصبية:

- شوفتوا دخل ازّاي وماعبّرنيش.

حنين بمكر:

- طب ما تقرّي انتِ وتقولي عملتي إيه خلّاه قَلَب وشه كده.

لارا باضطراب:

- أنا.. أنا ماعملتش حاجة، هعمل إيه يعني!

وقفت حنين تضع يدها بجانبها تقول غامزة:

- يا بت! ده أخويا وأنا حافظاه، ومستعدة أحلفلِك إنك عاملة مصيبة.

لارا بدفاع:

- ولا مصيبة ولا حاجة، أخوكِي اللي أُوفَر وبيكبّر المواضيع، إيه يعني سمع واحد زميلي بينديلي وهو بيكلمني في التليفون.

ابتسمت حنين قائلة: بس كده؟

لارا: آه بس.. يعني هي كل مشكلته إنه قالّي يا لورا، ما كل أصحابي بينادولي كده.

ضحكت حنين بانتصار، بينما قالت فوزية:

- انتِ هبلة يا لارا؟ ده خطيبك وبيغِير عليكِي، حقه يعمل أكتر من كده كمان.

و أردفت منيرة:

- هشام دمه حامي يا لارا انتِ عارفاه، يلّا يا حبيبتي ربنا يهديكي، النهاردة تراضيه بكلمتين وماتعانِديش معاه.

هزت لارا رأسها موافقة، بينما ظلَّت حنين واقفة تقلّب الطعام على النار، تفرك ذقنها بأصبعيها تفكر:

- يا نهار مش فايت، هو هشام بيغير عليها بجد ولا إيه؟!

طرقَت لارا غرفة هشام عدة مرات، لكن ما من مجيب، قالت في نفسها:

- يمكن واقف في البلكونة ومش سامع.

فتحت الباب برفق ودلفت إلى الغرفة تجوب بها بعينيها؛ فلم تجده، بل وجدَت باب النافذة مغلقًا، فُوجِئت بعد ثوان بخروجه من المرحاض يجفّف وجهه وشعره بالمنشفة، ولم تكن دهشته أقل حينما أنزل المنشفة عن عينيه ووجدها أمامه، تجهّم وجهه وبادر متسائلًا:

- انتِ دخلتِي هنا ازّاي؟

اضطربت ملامحها، ثم ردّت بتوتر:

- من الباب.

هشام بسخف:

- لا كنت فاكر من الشباك، أيوَه دخلتِي ازّاي من غير إذنى، يقولوا علينا إيه دلوقتي لما يشوفوكي في أوضة نومي؟!

لارا:

- ما أنا خبّطت كتير وانتَ ماردّتش، قولت أكيد في البلكونة كنت هدخل أقف معاك.

ثم أضافت ابتسامة رقيقة على شفتيها، وأضافت:

- وأصالحك على اللي حصل الصبح.

قذف المنشفة على سريره، وراح يجلس عليه قائلًا بغضب:

- وأنا بقى عيّل وبريالة وهتضحكي عليا بكلمتين، صح؟

جثَت لارا أمامه قائلة بلماضة:

- فشَر، ده انتَ باشا قلبي وباشا مصر كلها يا سيادة الرائد.. خلاص بقى، بليز.

افترّ عن ثغره ابتسامة، للحظة تذكر نداء جنّة له بتلك الصيغة حالما كانت تتخذ من ظهره حصنًا منيعًا، عاد بنظره إلى لارا قائلًا:

- خلاص، سماح المرة دي.

ردت بهزر: سماح ماتت محروقة.

عبس وجهه ثانية وقذفها بالمنشفة هاتفًا:

- اطلعي برّه يا لارا.

قاطع حديثهما صوت ذكوري؛ فألفيا رجلًا لدى الباب المفتوح يقول ممازحًا:

- احم، جوز كناري ياخواتي، آسف لو أزعجتكوا.

هشام باستغاثة:

- لا كده كتير عليّا، ارحمني يا رب.. تعالى عايزَك.

أخذ هشام زوج أخته عماد وخرجا إلى النافذة، بينما عادت لارا إلى المجتمع النسوي.

أردف عماد مشاكسًا: بس ماتنكرش إني أنقذتَك.

هشام بجدية:

- سيبَك من الكلام ده، عايزك في موضوع مهم.

تراجع عماد إلى الوراء قائلًا:

- آاااه، أنا مش برتاح للجملة دي.. يبقى قضية معقرَبَة معاك وهتصدعني.

لكزه هشام هاتفًا بجدية: اسمع بقى!

نظر عماد إلى السقف مستغيثًا، ثم قال بمرح:

- اتفضل.. معاك المايك.

*****

في المطبخ:

عادت لارا منفرجة أساريرها؛ فرمقتها حنين بنظرة مطولة، ثم قالت:

- شكلكوا اتصالحتوا.

اتسعت ابتسامة لارا قائلة بثقة:

- طبعًا، عيب عليكي، مايقدرش يصمد قُدّام لارا.

لوت حنين شدقيها متمتمة بسرها:

- آه طبعًا، انتِ هتقوليلي!

استأنفت لارا:

- على فكرة جوزِك جِه.

لم تُعِر حنين الأمر اهتمامًا، أو هكذا اصطنعت، فقالت لارا بمشاكسة:

- امم، شكلكوا متخانقين.

عرفت حنين أن الأدوار انقلبَت، وستفعل بها لارا مثلما فعلت معها؛ فلم ترد، لكن لارا لم تصمت:

- انتِ اللي عملتي في نفسك كده، كنتي متصربعة على الجواز، ومش بس كده لا.. خلفتي بسرعة كمان، يا بنتى سنك ده كان المفروض تعيشي فيه حياتك وتتنطّطي وتسافري انتِ وجوزك من مكان لمكان.

حنين وقد فاض بها الأمر:

- جوازى مش مانعني من إني أعمل حاجة بحبها، وبحمد ربنا على عُمَر ابني حبيبي، ده أحلى حاجة في حياتي، وجوزي ربنا يخليهولي بنسافر وبنتنطّط و...

لارا: ازّاي بقى؟ ومسئولية عمر وعمايل الأكل والشرب وتنضيف البيت وغسيل وغيره..

حنين بامتعاض: ومين قالّك إنّي مضّايقة من الحاجات دي؟

لارا بسخرية:

- الهالات السودا اللي حوالين عينك دي اللي قالتلي، وجسمك.. جسمك مابقتِيش مهتمة بيه خالص، مش شايفة تخنتي ازّاي! جوزك نفسه هيزهق ويبص برّه بعد كده.

بدأت حنين تنظر إلى جسدها بتمعن، تتساءل في نفسها: "هو أنا تخنت بجد؟"، لكنها بدلًا من أن تجد جوابًا لسؤالها، تفاجأت بذراع حانية تضمها، وقبل أن تلتفت إلى صاحبها سمعته يقول:

- مراتي في عيوني ملكة جمال العالم، عمري في حياتي ما يملاهم واحدة غيرها، وبالمناسبة هي بتتغيّر آه.. بس للأحلى.

أخرست لارا كلماتُ عماد، بل وأشعرتها بالحَرَج، بينما حدقت حنين بزوجها بعينين لامعتين بهما الكثير من القول أجّلته لحين عودتهما إلى عشهما الصغير.

بعد تناول العشاء... خرج هشام يحتسِي الشاي بنافذة الصالة برفقة عماد، لم يستطع هشام فصل عقله بأفكاره المتصارعة عن واقعه؛ فكان يشرد بذهنه بعيدًا مغلقًا حواسّه عمن حوله، حتى راح عماد يائسًا يصرخ بأذنيه:

- هشاااام.

أجفل هشام لصراخه قائلًا:

- إيه يا عم فيه إيه؟ انتَ بتنادي عليّا من العالم الآخر!

- أنا اللي فيه إيه؟ انتَ سافرت فين بقالي ساعة بكلمك.

فرك هشام جبهته، واحتسى رشفة من فنجانه قائلًا من بين أسنانه:

- هتجنن.. هتجنن!

تنهد عماد قائلًا: يا عم انت اللي عامل كده في نفسك، القضية واضحة زي عين الشمس، بس هقول إخِّيه.. ما أنا عارفك، رُوح المفتش كرومبو اللى بتتقمّصها دي، هي دي اللي بتتعبك.

هشام بحاجبين مرتفعين مع نبرة إصرار:

- طب تنكر إني كل مرة بيطلَع عندي حق؟

عماد: ماشي.. بس مش للدرجة دي.

هشام وقد تثاقَلَت عيناه من فرط التفكير:

- هي قضية معقربة أصلًا.. أنا عندي إحساس قوي إن جنّة مالهاش علاقة بكل ده، واتلطّت فيه بالصدفة.

رمقَه عماد بعينين نصف مغمضتين قائلًا: واد يا هشام.

هشام باندهاش:

- واد؟! إيه واد دي يا بَقْف انتَ.. تعرف انتَ لو ماكُنْتش جوز أختي كنت حبستك.

عماد ببكش: سيبك من الشويتين دول، وقولّي إيه حكاية جنّة دي؟

استند هشام بكلتَي ذراعيه على السور مطرقًا برأسه إلى الناحية الأخرى قائلًا:

- حكاية إيه يعني.. مش فاهم؟

عماد بجدية:

- لا انتَ مش غبي فماتستغباش.

ارتفع هشام بجسده عن السور ملتفتًا إليه:

- ما تلم لسانك يا جدع انتَ فيه إيه! عادي يعني.. هي بس بنت صغيرة ما أعتقِدْش تتورّط في حاجة كبيرة زي دي، وحتى لو.. فأكيد هي ضحية ابتزاز أو اتضحك عليها، دي ماكمّلِتْش ٢١ سنة وشكلها بريء.. ورقيقة و..

تنهد عماد مشاكسًا:

- وإيه كمان يا حنيّن.. وربنا أندهْلَك خطيبتك من جوّه.

ما كاد يكمل كلمته حتى سمع صوتًا مرحًا:

- وأهي خطيبته جات، كنت هتندهلي ليه؟

طالعه عماد بشماتة، ثم قال:

- لا أبدًا، كنت عايزِك تيجي تسمعي الشعر اللي هشام بيقوله فيكي.

تهللت أساريرها، بينما حدجَه هشام بنظرات نارية يأكل شدقيه أكلًا، بينما تساءلت لارا فرحة:

- بجد؟! كان بيقول إيه يا عماد؟

عماد بتبرة حالمة:

- كان بيقول إنك بريئة ورقيقة وجميلة، وبيخاف عليكِي ومش مستحمل عليكِي الهوا.

عاد هشام بنظره إلى الشارع يتوعد عماد بسرّه، حالما شعر بلمسة لارا على كتفه؛ فنظر إلى وجهها الباسم متسائلة:

- بجد يا هشام قولت عليا ده كله؟

كاد ينطق، لكنها أكملت:

- طب ليه مابتقولّيش الكلام الحلو ده؟ ما أنا على طول بتحايِل عليك تسمّعني كلام حلو، وكل اللي عليك أنا ماليش في المُحْن ده، أنا مش فاضي للتفاهة دي، طب ما انتَ طلِعْت رومانسي أهو، مش بتقولّي ليه بقى؟ هو..

كان عماد يضع أصابعه في آذانه، بينما هتف هشام صائحًا:

- باااس، ما هو عشان ده، افصِلي شوية، ادّيني فرصة أقول حاجة.. إيييه؟ دودودودودو مابتفصليش؟

ردّت بغنج: عشان بحبك يا شيمو.

استحالت ملامحه إلى مزيج من الدهشة والاشمئزاز صائحًا:

-شيمو مين يا حبيبتي؟ انتِ بتكلّمي واحدة صاحبتك؟ ما تظبطِي كده.

ضحكَت قائلة:

- بدلّعَك يا بيبي، طب خلاص انتَ اختار.. شيمو ولا هيشو ولا ميشو ولا هوشو.

- يا حلاوة شوشووو، بقِيت هوشو يا إتش؟

كان ذلك صوت حنين ضاحكة، أغمضَ هشام عينيه مستجيرًا، بينما همس له عماد ضاحكًا بشماتة: كده بقَت حفلة رسمي.

غادر الضيوف المنزل وحلّ المساء بليل مقمر ونسمة هواء باردة منعشة، همّ هشام بالخروج من المنزل؛ فسألته منيرة:

- رايح فين يا هشام، ده الساعة داخلة على ١٢؟

ضحك هشام بخفة يتراءَى له أن منيرة ما زالت تعامله وكأنه طفل ما زال يحبو في نظرها رغم تجاوزه سن الثلاثين، وكونُه ضابطًا لم يشكّل لها فارقًا، فسيظل الابن الذي تخاف عليه ويتعاظم شعورها بالأمان في وجوده.

ردّ هشام بحنوّ:

- هنزل أتمشّى شوية، مش هتأخر، نامِي انتِ ماتقلَقِيش.

خرج هشام من عمارته متخذًا اليسار سبيلًا، وبدأ السير بخطًى واسعة واضعًا كلتا يديه في جيبَي السترة الرياضية يغطّي رأسه بغطاء الرأس الملحق بالسترة، حتى بدأت الأفكار تتدفق في رأسه بهَرَجٍ ومرَج محاولًا ترتيبها بشكل منطقي، زاد من حركته حتى أخرج يديه من جيبيه وراح يركض مستعرضًا بمخيلته ما حدث خلال هذين اليومين، وما يتنافى مع فرضياته الأولى، راح يتخيّل أولًا مشهد كارولين في المطار وذلك الشخص الذي استقبلها، وقد كان يدرك شكلها مسبقًا، وهي بالمثل، حتى أنه كان لا يحمل أية لافتة، استقلّت معه السيارة.. الحدث الثاني في الفندق، وكانت مكالمة غير محسوبة العواقب من هاتف الفندق إلى مُرافقها تخبره بأنها تريد ملاقاته ليعرّفها الجوانب المنتقصة للمهمة، حتى تستطيع إصابة هدفها المزعوم.. الحدث الثالث إعادة ملابسها من الدراي كلين الملحقة بالفندق، لكن بقرص مراقبة دقيق لا يمكن ملاحظته، ومع ذلك فطنت إليه.. ومن ثم هربَت من المُخبر الذي يراقبها حتى التقَت بجنّة..

في تلك اللحظة راح خفقَانُ قلبه يتضاعف فضلًا عن الركض، لكنه واصل عدْوَه مستمرًا في استذكار الأحداث؛ كيف كانت مذعورة ينهشها الرعب مما وقعت به منذ لحظة القبض عليها؟ وحتى انهيارها واستلقائها في المشفى بوداعة تكشف جليًّا عن براءتها.. ثم راح يتذكر ذلك أحمد بدر وذهابه إلى

شقة المنيل وما أقرَّه بالتحقيق، حينئذ توقف مكانه يجوس بعينيه بتفكر، ثم انفرج عن شفتيه ابتسامة خبيثة مهمهمًا: "أنا كنت صح، الغبي كل مدَى بيكشف نفسه أكتر، وعشان نقدر نوصل لكارولين لازم نكشفه الأول".